



## تحديات «كورونا».. بين مرارة الواقع وسباق الإبداع

النفط والمعادن الصناعية<sup>(١)</sup>.

### كورونا - وزيادة حالات الطلاق:

أدت هذه الجائحة إلى زيادة حالات الطلاق، بسبب كثرة المشاكل، والضغط المختلفة، مما أدى إلى ازدياد التوتر في العلاقات الزوجية، وقد سجلت شركة محاماة بريطانية زيادة بنسبة ١٢٢ في المئة في الاستشارات بهذا الخصوص، وسجل الموقع الإلكتروني للمركز المجاني لإرشاد المواطنين في بريطانيا ارتفاعا حادا في طلب المشورة عبر الإنترنت بخصوص إنهاء العلاقات الزوجية.

وفي الولايات المتحدة أعلن أحد المواقع الرئيسية لإعداد العقود

فيد في الحركة، تقييد في الترحال، حصار يضيق الخناق على الناس، فالدنيا كلها في حصار خانق، مقيد، مكبلين، مجددين الإقامة، فالحياة شبه متوقفة إكلينيكيًا، آفات وعلل بعضها دون بعض، ازداد الناس حيرة مع هذه الجائحة، لاسيما بعدما طال عليهم الأمد.

وقد تنوعت الآثار السلبية لجائحة كورونا، فمنها الآثار الاقتصادية.

فقد وجهت كورونا ضربة موجعة إلى اقتصاد العالم الذي يعاني بالفعل من الهشاشة، وستعرض إلى اضطرابات وتداعيات طويلة الأمد، وأثر ذلك تأثيرا كبيرا على النشاط التجاري في العالم، وتقلبات في أسواق المال، وتراجع في أسعار

بما ترى هل في هذا الحصار الخانق، وهذه الأجواء المحيرة، وهذه الضوضاء الإعلامية، وهذا الصخب الإخباري حول جائحة كورونا... وعينا المدرس؟ هل أدركنا حجم المصائب؟ هل وصلت الرسالة إلى العقول؟

من كان يظن أن هذا الفيروس الضعيف الذي أرسل على البلاد والعباد في أرجاء المعمورة سيكون سببا في تغيرات جذرية في حياتنا بكل أفاقها؛ توقف بصيب سائر الأنشطة الاقتصادية، والرياضية، والعلمية، مصانع تتوقف، شركات تتفرض، أسواق تغلق، أعمال تؤجل، آثار سلبية اجتماعية، ونفسية، وعاطفية!

القانونية مؤخرا زيادة بنسبة ٢٤ في المئة في طلبات الطلاق<sup>(١)</sup>، ويشكل المتزوجون حديثا ٢٠ في المئة من مجموع من قدموا طلبات للطلاق! ورحم الله من قال:

ما ضاقت أرض باهلها

ولكن اخلاق الرجال تضيق

حرم الناس حسن العشرة وهم أحوج ما يكونون إليها تخلوا عن شيم الكرام، من المروءة والوفو والتسامح، وغض الطرف عن الهفوات والأخطاء غير المتعمدة، والعلاج بحكمة لهذه الأمور.

#### كورونا، والاكتئاب

بسبب ما تفرضه هذه الجائحة من عزل وحجر وتباعد اجتماعي، وعدم الاختلاط لمسافات قريبة أدى إلى إحداث حالات اكتئاب، وقلق واضطرابات نفسية، قد تمتد حتى بعد الشفاء من الجائحة<sup>(٢)</sup>.

#### أين نحن من هذه الآثار؟

لا شك أن طبيعة حياتنا كمسلمين من المفترض أن تنأى بنا عن هذه الآثار، هديتنا بما فيه من عقيدة وأركان الإيمان وأخلاق مستمدة من القرآن وهدى النبي ﷺ، يجعلنا نصبر ونحسب، ونعيش لحظات حياة ممتعة ومنعشة برغم وجود الجائحة. فنحن أمة لا يعرف اليأس إليها سبيلا، أمة تؤمن أن اليأس من رحمة الله كفر، قال تعالى:

﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْفَوْهُ الْكٰفِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).

فالمسلم مطالب بعدم الركون إلى الدنيا، ويعلم أن الأحوال فيها لا تدوم، والنفس معرضة للابتلاء في أي لحظة، فتلك سنة الله في الخلق،

قال تعالى: ﴿وَلَتَبْلُوتَكُمْ يَتْنٌ مِّنَ الْفُتُوٰى وَالْجُوعِ وَتَقْصِي مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥).

وطبيعة حياة المسلم تأخذ بيده إلى النجاة فهو يعيش مع الله تعالى، متقلبا بين أوامره ووصاياه، ينتقل من عبادة إلى عبادة، ومن طاعة إلى طاعة، ففي كل يوم هو في صلاة تملأ أركان يومه، حتى إن منع عن الصلاة في المسجد بسبب الجائحة كما حدث، فإن الله تعالى جعل الأرض كلها مسجدا لهذه الأمة، كما قال ﷺ: «وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا»<sup>(٣)</sup>.

وذكر الله الذي ينير قلبه وجوارحه ببتيه بالاستغفار بالأسحار، ومع بواكير الفجر يلزم أذكار الصباح، وعلى مشارف الأصيل يتممها بأذكار المساء، وما بينهما من أذكار في مواطن مختلفة، ومن تلاوة للقرآن الكريم، أو استماع له، أو استظهار له عن ظهر قلب، فكيف يتسرب اليأس أو القنوط إلى أسنة تلهج بذكر الله، وقلوب لا تغفل عن الله، وأبدان تتحرك في طاعة الله تستتير بالذكر، وتأنس بالمناجاة وتتزل عليهم السكينة، وتفشاهم الرحمة، وتحفهم الملائكة، ويذكرهم الله فيمن عنده؟

طاعات تدفع عن المسلم البلاء، وترفع عنه المقت، وتؤنس وحدته، فهو في معية الله تعالى ملازم لطاعته، في النعمة شاكر، وفي البلاء صابر، فكل أموره إلى خير، يصبر على الضيق والمحن والأمراض، ويأخذ بوصفة هذا الدواء الناجع الذي يجب أن يتبته إليه الناس، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى

الْمُتَشَبِّهِينَ﴾ (البقرة: ٤٥).

لنعش الحياة في ظل التفتبات، فالحياة تدور ولا تتوقف عجلائها، والوقت محسوب علينا، ولنعلم أن الحياة ليست في تحقيق مآرب الجسد من طعام وشراب ونكاح وأخذ للزينة فحسب، بل أكبر متاع الدنيا وأعظمها مع طاعة الله وعبادته، مع القرآن تلاوة وحفظا وسماعا، والذكر والسماع للعلم، وتعلم السنة النبوية الشريفة، هذه هي الحياة الحقيقية، ذلك أن الوحي الذي حمل لنا هذه الشعائر هو الروح الحقيقي الذي نحيا به، لنملا أوقاتنا بالطاعة، فنفسك إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية،

قال تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتٰبُ وَلَا الْإِيمٰنُ وَلٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ، مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَأَنْتَ تَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢).

وقال سبحانه: ﴿يُرٰى الْمَلٰٓئِكَةُ بِالرُّوحِ مِّنْ أَمْرِهِ عَن مَّنْ شَاءَ مِّنْ عِبَادِهِ أَن يَدْعُوهُ أَنْ يُدْعُوا لَهُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَانقُرُون﴾ (النحل: ٢).

هذه هي حياتنا نحن المسلمين، أما غير المسلمين فيقبلون في البلاد، يعلو وجوههم العيوس؛ بسبب ما هم فيه من فراغ إيماني، خلت منه القلوب، أخطأ طريقه وضل مقصده وهدفه، مصاب باليأس والقنوط،

يمشي على غير هدى ﴿الَّذِينَ سَلَ سَعِيهِمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْيٰوْنَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٤).

#### بوارق الأمل

إننا نعيش في ظل محنة قاسية حقا، ومع هذه القسوة والشدة تتفجر ينباع الأمل في نفوس المؤمنين، فأطفال فلسطين وغزة حفظوا القرآن في ستة أشهر، وحولوا محنة كورونا إلى منحة<sup>(١)</sup>.

وفي دولة الكويت أتم خمسون ألف طالب وطالبة حفظ القرآن الكريم في أوقات الحظر، بعد زيادة الإقبال على التسجيل في مراكز التحفيظ كما صرح بذلك الدكتور الجنفاوي وكيل الوزارة المساعد لشؤون القرآن والدراسات الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

وهناك من تعلموا اللغة الألمانية كلفة ثالثة بعد العربية والإنجليزية، وتدرجوا فيها لأعلى المستويات، ثم مارسوا تدريسها عبر الإنترنت.

إنها همم عالية، وعزائم لا تلين ولا تستكين، ولهم قدوة في شيوخ الإسلام وعلماؤه عندما سجن بعضهم ولم يدع أوقاته تذهب سدى من غير فائدة، فأبدعوا وابتكروا وألّفوا وصنّفوا، وهذه بعض نماذج لتكون نبهاسا لشبابنا ترتقي بهم إلى مدارج المجد.

الإمام أبو سهيل السرخسي أمله كتابه المبسوط (نحو خمسة عشر مجلدا)، وهو في السجن، وكان يملي من خاطره، من غير مطالعة كتب! وهو في الحب وأصحابه في أعلى الحب، وقال عند فراغه من شرح العبادات: هذا آخر شرح العبادات بأوضح المعاني وأوجز العبارات، أملاه المحبوس عن الجمع والجماعات، مضليا على سيد السادات محمد المبعوث بالرسالات وعلى أهله من المؤمنين والمؤمنات، ثم كتاب المناسك ولله المنة، وله الحمد الدائم الذي لا ينفى أمده ولا ينقضى عدده<sup>(٣)</sup>.

وكذلك ابن تيمية شيخ الإسلام، له المصنفات والرسائل فاق بها من سبقه، ولا يلحق به من بعده مع أن

أكثرها أملاها من حفظه، وكثير منها صنّفه بالحبس، وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب، وهو القائل: ماذا عسى أن يفعل أعدائي بي، نفي سياحة، وسجني خلوة، وقتلي شهادة في سبيل الله، فأنا على خير في كل حال<sup>(٤)</sup>.

وهذا الشيخ الألباني دخل السجن ثم نفي بعد ذلك إلى الجزيرة، وقد قدر الله ألا يكون معه إلا كتابه المحبب صحيح الإمام مسلم، وقلم رصاص، وممحاة، فعكف على تحقيق أمنيته في اختصاره وتهذيبه، وفرغ منه في ثلاثة أشهر كان يعمل فيها ليل نهار دون كلل أو ملل<sup>(٥)</sup>.

وأما الدكتور مصطفى محمود فعندما كان طالبا في كلية الطب مرض وهو في السنة الثالثة، وأصبح طريح الفراش طيلة ثلاث سنوات في غرفة مغلقة، حتى سبقه زملاؤه وتخرجوا في كلية الطب وهو لا يزال مريضا طريح الفراش، في بداية الأمر تصور أنها محنة، لكنه في هذا الظرف الاستثنائي الذي ألزمه البيت وأقعده في الفراش، بدأ بقراءة الأدب العالمي كله: الأدب الروسي، والأدب الفرنسي، والأدب الإنجليزي، والأدب الأميركي، فقرأ لكل البارزين في الرواية والقصة القصيرة والمسرح، لازم القراءة باستمرار وهو في فراش المرض، ثلاث سنوات صنعوا دكتور مصطفى محمود، فالذي صنعه العزلة داخل محضن المرض، الذي خرج منه شخصا مختلفا، متأملا، مفكرا بطبيعته، وممارس الكتابة وتقاليد مع كبار الكتاب، وبعد انجلاء هذه المحنة، كان يسترجع ذكرياته وقتها، وأحسن أن الله الرب المربي يستخرج منه أحسن ما فيه، كالبذرة تدفن في الأرض حتى تخرج ثمرا يانعا، وهذا مثال من الحكمة الإلهية من تولى

الله لمخلوقاته بالتربية، فيستخرج منهم أحسن ما فيهم، أحيانا بالمرض، أحيانا بالألم، المهم أن ما يبدو أنه شر هو في حقيقته خير، بعد ذلك أصبح يرحب بأي مكروه تعلمه أنه توجد حكمة لله سيعرفها فيما بعد، وعاد يكمل دراسته بالطب وهو شخص آخر، عقلية تتزاحم فيها الآداب العالية بلغاتها المختلفة ليستأنف من جديد رحلته في كلية الطب<sup>(٦)</sup>.

أيها القارئ الكريم، لا يأس مع الحياة، لا فتوط، لا كسل، لا تراخي، فالمسلم يعمل ويجتهد ولو تغيرت الظروف وضاعت الأحوال، ضيق المكان في السجن أو الحجر الصحي يقابل بسعة في الأفق والفكر، وسباحة في كتب العلم المختلفة التي تأخذ بيده إلى امتداد الزمان والمكان ورحابته.

علينا أن نتذكر دائما هذه الآية:

﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

«كورونا»، وبعد انجلائها، وهي كل حياتنا.

#### الهوامش

- ١- [blogs.worldbank.org/voicescovi](https://blogs.worldbank.org/voicescovi)
- ٢- [www.bbc.com](http://www.bbc.com)
- ٣- [www.scientificamerican.com](http://www.scientificamerican.com)
- ٤- أخرجه البخاري، ١٢٨، ومسلم، ٥٢١.
- ٥- [www.elwatannews.com](http://www.elwatannews.com)
- ٦- [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)
- ٦- [www.alraimedia.com](http://www.alraimedia.com)
- ٧- [www.alukah.net](http://www.alukah.net)
- ٨- [www.alukah.net](http://www.alukah.net)
- ٩- [ar.islamway.net](http://ar.islamway.net)
- ١٠- حوار نادر مع د. مصطفى محمود برفقة الشيخ الغزالي (يوتيوب).